المرحوم جميل بك العظم

بقلم عيسى اسكندر المعلوف

أسرته

آل العظم من قبائل قونية في بلاد الترك وقال بعض المؤرخين إن أصلهم من عرب بني عزيم [1] من بلاد حوران وما اليها ذهب أجدادهم إلى قونية واشتهر منهم فيها أميران (أحدهما) قاسم بك العظم المعروف (بابي كَتِف) وقد مات عقيماً و (الثاني) ابراهيم بك وهو والد اسماعيل باشا فانتقل ابراهيم هذا من قونية إلى بغداد في زمن السلطان مراد خان الرابع العثماني فتوطن بها وولد له اسماعيل باشا الآنف الذكر واخوه سليمان باشا وهما أول من قدما إلى دمشق الشام من هذه الأسرة ، فسليمان لم يعقب واسماعيل باشا هو جدُّ الأسرة الباقية في معرة النعمان وحماة ودمشق وعرف منهم ولاة كثيرون ولهم آثار في مواطنهم شاهدة بفضلهم وذكرت بعض الصحف التركية ان لقب العظم هو لضخامة جسم جدهم (أبي كتف) الملقب بالتركية (كميك لي) أي ذو العظم والله اعلم . راجع تاريخي) قصر أسعد باشا العظم بدمشق) .

نشأته

هو جميل بك بن مصطفى بن محمد حافظ بن عبد الله باشا بن محمد باشا بن مصطفى بك

---

(١) صرح بعروبتهم الشيخ عبد الرحمن الفامي المغربي في تاريخه المخطوط في مصر بعد سنة ١١٠٠ هـ فذكر وفاة احدهم وقال : « إن هذا اللقب من الدولة وإنما أصلهم عربان من بادية الشام » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن فارس بن ياسين بن ابراهيم باشا بن اسماعيل باشا. أول من سكن دمشق كما سبق

ولد جميل في الآستانة سنة ١٢٩٠هـ (١٨٧٣م) وتوفي والده وهو ابن خمس سنوات فعاد جميل إلى دمشق بعد وفاة والده ودرس في مكتبها الرشدي وعلى بعض علمائها فأتقن العلوم العربية بآدابها والتركية والخطوط على أنواعها إذ تلقاها عن الشيخ رسا الخطاط الشهير والسيد مصطفى السباعي وغيرهما وانكب على المطالعة واقتناء المخطوطات مع اشتغاله بدوائر الحكومة فبرع ونثر ونظم وجمع مجلداً كبيراً منها احرقه ولم يبق منه إلاّ ما نشر في صحف ذلك العهد كالمعلومات العربية التي حررها مدة في الآستانة والاتحاد العثماني والرأي العام والجامعة العثمانية وجرائد بيروت الحديثة

وهكذا كان يشتغل بالأدب ويقتني المخطوطات وينسخ الكتب ويشتغل بما وكل اليه من الأعمال في الحكومة والصحف والاتجار بالمخطوطات التي جمعها

إلى أن توفي بدمشق في ٢١ جمادى الثانية سنة ١٣٥٢هـ و ١٥ ت سنة ١٩٣٣ م على أثر عملية جراحية رحمه الله .

أعماله وآثاره :

من الأعمال التي مارسها انه كان رئيس كتاب للمعارف في دمشق سنة ١٣٠٨ رومية فبقي ثلاث سنوات وبضعة أشهر ثم نصب ناظراً للنفوس في ولاية أطنه سنة ١٣١١ رومية ثم عضواً للجنة التفتيش والمعاينة في نظارة المعارف بالآستانة سنة ١٣١٥ وبعد سنة ونصف جاء محاسباً لمعارف ولاية بيروت سنة ١٩٠٨م نحو عشر سنوات ثم صار مدير الداخلية في المكتب السلطاني فيها سنة ١٣٢٦ ، وفي سنة ١٩١٢ م أنشأ مجلته (البصائر) فنشر منها ثمانية أجزاء وعطلها ثم أعادها بعد مدة ونشر منها ثلثة أجزاء وكان آخر العهد بها .

وترك من مؤلفاته ومجاميعه ما نشر كما سيأتي وبقي بعضها مخطوطاً فمن المخطوطات (درر الشنوف في مدح الوزير الرؤوف) وهو ٢٩ قصيدة على طراز ارقيات صفي الدين الحلي مدح بها رؤوف باشا سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٩١م) ولم يبق منها غير النسخة المقدمة للممدوح والمسودة ضاعت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

و (تخميس همزية البوصيري) أحرق مع ما أحرق من شعر صباه في مجموعة منظومه ومنثوره

و (الآداب الاسلامية) في الأخلاق والآداب لم يتم

و (ديوان العرب) مجموع وعى معظم ما وقف عليه من شعر العرب ورتبه على الحروف ولم يكمل

و(قاموس التراجم) وهو مختصر تراجم العلماء والأدباء واسناد ذلك إلى أربابه فجاء اشبه بفهرس لكتب التراجم وللتراجم الواردة في غير كتب التراجم من معجمات وجرائد ومجلات ومخطوطات ولم يكمل

و (التذكرة) وهي مجموعة مخطوطة بقلمه فيها كل ما استحسنه من العلوم والفنون فيقول مثلاً — باب علم البيان فيتكلم على مسائل مهمة في هذا العلم ويرتبها على فصول فيقول : فصل في المجاز المرسل وفصل في كذا إلى آخر البحث وهذه لم تتم أيضاً . وقد وضعها في ثلاثة أقسام ١- التذكرة الكبرى في مجلدات ولكل مجلد اسم خاص واسمها العام (المقبول من كل معقول ومنقول) ٢ — التذكرة الوسطى — واسمها (اثمار الأسفار) ظهر منها ثلاثة أجزاء صغيرة كل مجلد في ١٥٠ — ٢٠٠ صفحة ، وموضوعها الكتب النادرة التي وقعت بيده ووصفها وانتخب منها أشياء ٣ — التذكرة الصغرى في مجلد صغير واسمها المسارعة إلى قيد أوابد المطالعة

و (ديوان الخليل بن احمد الفراهيدي) جمعه و كتبه بخطه وقد اتصل بخزانتي شراءً منه لأطبعه في مجلتي الاثار التي عطلت على أثر ذلك .

و (الإسفار عن العلوم والأسفار) وهو ذيل لكشف الظنون للحاج خليفة المعروف بطاشكبري زاده بحجم الأصل أو أوسع منه في مجلدين ضخمين بالقطع الكبير في اكثر من الف صفحة محفوظة ومقدمته الإسفار بدأ بنشرها في مجلته البصائر في الجزء السابع من المجلد الاول والصفحة ٢١٣ وفي الجزء الثامن ، ووقف نشر الباقي بتوقيف المجلة وفي ما نشر نوادر خزائن الكتب المشهورة في مصر وأوربة .

(إتحاف الحبيب باوصاف الطيب) وهي رسالة في الطيب وانواعه واوصافه وأماكنه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومعادنه وماقيل في خواصه وماقيل فيه من شعر ونثر — نشر نحو ثلثه في السنة الاولى من جريدة الاقبال البيروتية

ومما طبع منها على حدة :

(تفريج الشدة في تشطير البردة) للبوصيري طبعت بالآستانة على الحجر سنة ١٣١٣هـ - ١٨٩٥ م

و (ترجمة عثمان باشا الغازي) طبعت بالآستانة بمطبعة جريدة « معلومات » سنة ١٣١٥ هـ - ١٨٩٧ م

و (عرب رحلة) نسيبه صادق باشا المؤيد الى الحبشة عن التركية ، ونشر قسماً منها بجريدة الإقبال البيرونية ثم أتمّ ترجمتها رفيق بك العظم وحقي بك العظم وطبعاها بمصر سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م بصور في ٣٣٥ صفحة بقطع الربع وبمخططات (خارطات)

و (عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون مصنفا فمائة فاكثر) وهو الجزء الاول من أجزاء ذكر فيه تراجم اربعين عالماً من المسلمين واليونان وسرد مصنفات كل منهم مرتبة على حروف المعجم . طبع الجزء الاول في بيروت سنة ١٣٢٦هـ ١٩٠٨م في ٣٤٤ ص بقطع الثمن — وبقي الثاني مخطوطاً وهو اوسع من الأول في مباحثه واكبر حجماً منه

و (الماضي والحال) وهي رسالة نشرها على أثر اعلان الدستور في السنة السالفة الذكر وبقي منها قسم مخطوط .

ومما نشره من الرسائل القديمة :

(تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين) وهي رسالة لغوية للامام ابي يعقوب محمد الفيروز ابادي صاحب القاموس نشر منها قسماً في مجلته البصائر ثم طبعها كلها على حدة

و (خلق الانسان) لأبي الحسن سعيد بن هبة الله الطبيب المتوفى سنة ٤٩٥ هـ ١١٠١ م نشر منها قسماً في مجلته البصائر ثم طبعها على حدة كاملة

واعدّ غيرها للطبع بخطه وقد ابتعت بعضها منه مثل (الرسالة الشرفية في الموسيقى) للصفي عبد المؤمن و (كتاب حفظ الأسنان واللثة واستصلاحها) لحنين بن اسحق العبادي و (كتاب أبطال الكيمياء) لأفضل الدين الأحمدي القاهري وغير ذلك مما لا يحضرني الآن وقد رأيته بعيني عنده وفي بعض المكاتب وكله بغاية الضبط والجمال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الختام

نحا الفقيد في صناعتي النثر والنظم نحو القدماء أحياناً في السجع والمعاني القديمة . وله كثير مما جمعه والفه مقالات وقصائد ومقطعات نشر بعضها في المجلات والجرائد

ومن منظوماته (قصيدته في الحرب الكبرى) نشرتها جريدة الرأي العام في بيروت وتناقلتها الصحف

وكتب بحرف جيد وهندسة رائعة انواع الخطوط النسخية والديوانية والثلث والفرمانية وغيرها

وقد عرفته وجالسته وكاتبته في بيروت وزحلة ودمشق ووقفت على مخطوطاته كما وقف على مخطوطاتي فكانت له خبرة بنوادرها ولكنه يغالي باثمانها وينتحل قدميتها احياناً لضيق ذات يده وللربح من الاتجار بها

وكان منقشفاً في عيشته زاهداً بعيداً عن المدنية الحديثة والميل الى البهرجة والزخارف سليم الطوية واسع الاطلاع على الأدب العربي عارفاً التركية والفارسية والعربية متضلعاً منها . لم يعقب ذكراً

رحمه الله وعزّى أسرته ووطنه والادب على فقده

عيسى اسكندر المعلوف

* * *

المجمع العلمي — وقد اطلعنا لعضو مجمعنا الفقيد على ترجمة بقلمه ذكر فيها الخطة التي سار عليها في طلب العلم ، وشيوخه في دمشق ومن انتفع بصحبتهم قال رحمه الله :

أول شيخ انتفعت بالتلقي عنه الاستاذ الشيخ محمد المرعشي قرأت عليه العلوم العربية ثم قرأتها على الاستاذ الشيخ رشيد المعروف بابن قزيها وبابن سنان ، وجودت القراءة على الاستاذ الشيخ احمد الاشي والاستاذ الشيخ عبد القادر المالكي بمدرسة الملك العادل نور الدين ثم حفظت قسما من كتاب الله العزيز تلقيناً من الاستاذ الشيخ حسين الرحيباني البصير ، وتفقهت بالعلامتين الشيخ انيس الطالوي ، والشيخ عطاء الله الكسم مفتي دمشق اليوم ، وتلقيت عقيدة السنوسي بشرحها عن الاستاذ الشيخ عبد المحسن الاسطواني قاضي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

دمشق الآن ، وقرأت قسما من الطريقة المحمدية في الجامع الاموي على الاستاذ الشيخ عبد الرزاق الاسطواني ، وحضرت درسا في المنطق على علامة الديار الشامية الشيخ بكري العطار ، وتلقيت خط الثلث والنسخ عن الخطاط الشهير رسا افندي المعروف بآكاه ، وخط التعليق عن الوجيه الخطاط مصطفى افندي السباعي ، وخط الرقعة عن جلال بك احد كتاب الرسائل (قلم المكتوبي) في دمشق ثم عن صادق افندى القدسي من كتاب الديوان المذكور . واما من انتفعت بصحبتهم من العلماء فاجلهم العلامة الكبير احد اركان النهضة في سوريا الشيخ طاهر الجزائري لزمت صحبته الى آخر ايام حياته ، والعلامة الكبير الشيخ عبد الرزاق البيطار ، والاستاذ الكبير التقي الورع الشيخ محمد المبارك الجزائري والاستاذ الجليل الشيخ سليم البخاري ، والاستاذ الكامل الشيخ سعيد القاسمي والد صديقنا العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي وآخرون دون هذه الطبقة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net